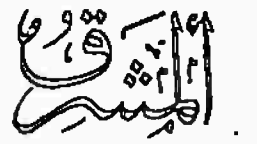

الطائر الخفّاق على اطلال العراق

لحضرة الاب العالم اللغوي المتفنن انستاس الكرملي البغدادي

ان العراق هو من الاصقاع التي كثرت فيها الآثار القديمة . والابنية الجسيمة الفخيمة . والاطلال الدارسة . والأنقاض الناطقة بالهياكل الطامسة . الى غير ذلك من الدفائن والنفائس . ما يزري بالخرائد والعرائس . ومن العجب العُجاب . اننا نرى الأغراب . يتطوّن متن العُباب . او رحال الركاب . مُعانين الاتعاب والاوصاب . ليقفوا على ما في بلادنا من العاديّات والانصاب . او يكتبوا عنها ما يُفيدون به اولي الالباب . ولا نرى من ابناء الناطقين بالإعراب . من كتب شيئاً في هذا الباب . ما يقصع اللُهاب . او يدفع بعض العذاب . بل رأينا من الكتّاب . من تصدّى لتعريب شيء من مؤلفات الأجناب . غير انهم اتوا في ما نقلوهُ من التصحيف المُعاب . ما جاوز أطوار الصواب . فضاعت الفائدة من الكتاب . لا بل أتوا من الضرر ما لا يقع تحت حساب . لانهم وضعوا دعائم قد أكلتها قوادح الوهم والاختلال . لصَرْح لا يقوم الّا على قوائم حشوُها الصدقُ في النقل والمقال . فلهذا احببنا ان نورد شيئاً من هذا القبيل . من تعريب او تحصيل . يكون بمنزلة تَبلّة للجائع العليل . او جُرعة للناهل الغليل . ريثما يتصدّى لهذا الامر الجليل . من يُمِدّ لهُ سواء السبيل . فيزيل الكروب . عن القلوب . ولا يبقي حاجةً في نفس يعقوب

اَ عَقَرْقُوفُ ('Agar-Gouf ou 'Akar-Kouf)

من الأخربة المشهورة في نواحي بغداد عقرقوف بعين في الاوّل وقاف قبل الراء ثم قاف ثانية قبل الواو وفاء في الآخر . واوّل كتاب عربي « حديث » عثرت فيه على ذكر عقرقوف هو كتاب دائرة المعارف للبستاني ذكر فيه صاحبهُ اسم هذا التلّ مصحّفاً

بالوجه الآتي: « اكركوف » وهو لفظ اخذهُ عن كتب الافرنج لم يعرفهُ لا العرب الاقدمون ولا العرب الحاليون. وليس هذا الكتاب بيدي اليوم لأراجع ما قالهُ صاحبهُ في هذه المادة. وقد رأيت ذلك قبل ١٧ سنة (١ ولا اظنّ انني متوهّم بقولي هذا. اما الكتاب الثاني الذي وقع بيدي ورأيتُ فيهِ ذكر الهيكل فهو كتاب تاريخ بابل وأشور تأليف جميل افندي المدور وقد وقف عليهِ وصحّحهُ الشيخ ابرهيم اليازجي. وكنتُ سابقاً قد طالعتهُ تباعاً في المقتطف. اما اليوم فقد طُبع حديثاً سنة ١٨٩٢ بمطبعة الفوائد وقد ذكر (ص ٦١) اسم عقرقوف كما ذكرهُ صاحب الدائرة. وهذا كلامهُ بنصّهِ الحرفيّ:

« والى شرقي بغداد (كذا. والاصح الى شمال غربي بغداد) على اربعة أميال منها وستة اميال من نهر الفرات على ضفة الترعة السقلاويّة (كذا. والمشهور عندنا الصقلاويّة بصاد في الاول وهو المعروف عند مؤرخي العرب بنهر عيسى) اخربة قديمة العهد مبنيّة بالآجرّ (كذا. وليس هناك آجرّة واحدة وانما الاخربة مبنيّة باللبن والفرق بين الاثنين ان الآجرّ مشويّ بالنار واللبن غير مشويّ. وبناؤهُ من اللبن أدهش من بنائهِ بالآجرّ) على شكل هرم (هذا راي غير المحققين وليس في ذلك البناء ما يُذكّر هيئة الهرم) يسمّيها الناس ببرج نمرود وبعضهم ببرج بابل (كذا. وهو الكلام الذي يقولهُ بعض الافرنج وليس في ذلك قلّ صحّة. وانما يسمّيهِ الناس عقرقوف من عهد الخلفاء الى يومنا هذا) وهي غير البرجين المتقدم ذكرهما. وكان اسمها الاول اكركوف (كذا) على ما اثبتهُ نيبوهر السائح الدنمركي (قلتُ ولو راجع نيبوهر لرأى انهُ قد كتب الاسم باحرف عربية كما كتبناهُ نحن). وآجرّها (كذا. وقد رأيت خطأ هذا القول) مربّع يبلغ ثخن الواحدة منهُ ثلاث اصابع وطولها ثلاث عشرة اصبعاً في عرض مثلها. وهي مرصوصة بالياع (كذا. وليس هناك شيء من الياع) وبين كلّ سبعة سيفان (لم نسمع ان سافاً يجمع على سيفان. فان الكاتب توهّم فيها وزن ساق وطاق اللذين يجمعان على سيقان وطيقان فجمعها جمعهما. وهو غير مسموع في هذا الحرف. والمشهور سافات وآسُف. راجع التاج) من الآجرّ (؟) عَرَق من الحيزران (كذا. وليس هناك شظيّة من الحيزران. فلعلّهُ ترجم jonc. فاذا كان كذلك فانّ لهذه اللفظة الفرنسية معنيَين الاول الحيزران والثاني الاسَل وهو الموجود في هذا البناء) او الأباء ليمسك البناء ان يتصدع (يريد ان يقول: « عن ان يتصدّع ») على مرّ الازمان. وفي اعالي هذه الاخربة ثقوب كثيرة تمتدّ امتداداً افقياً وبعضها تذهب عمودياً. . . الخ »اه

ولعلّ اسم هذا البناء ورد في كتب أخرى عربيّة غير انني لم اتوفّق الى العثور عليها. اما العرب الاقدمون فقد ذكروا هذا البناء ولم يصفوهُ وصفاً مدقّقاً. قال صاحب

---

١) راجعنا هذا الفصل في دائرة المعارف (٤: ١١٧) فاذا اوّلهُ لا يختلف عمّا ورد في تاريخ بابل واشور. والباقي مأخوذ عن الرحّالة جسني. وما لم نجدهُ في غير الدائرة قولهُ: « قال آخرون انها (يريد عقرقوف) موقع مدينة ستّالي القديمة التي ذكرها زينوفون اليونانيّ » (المشرق)

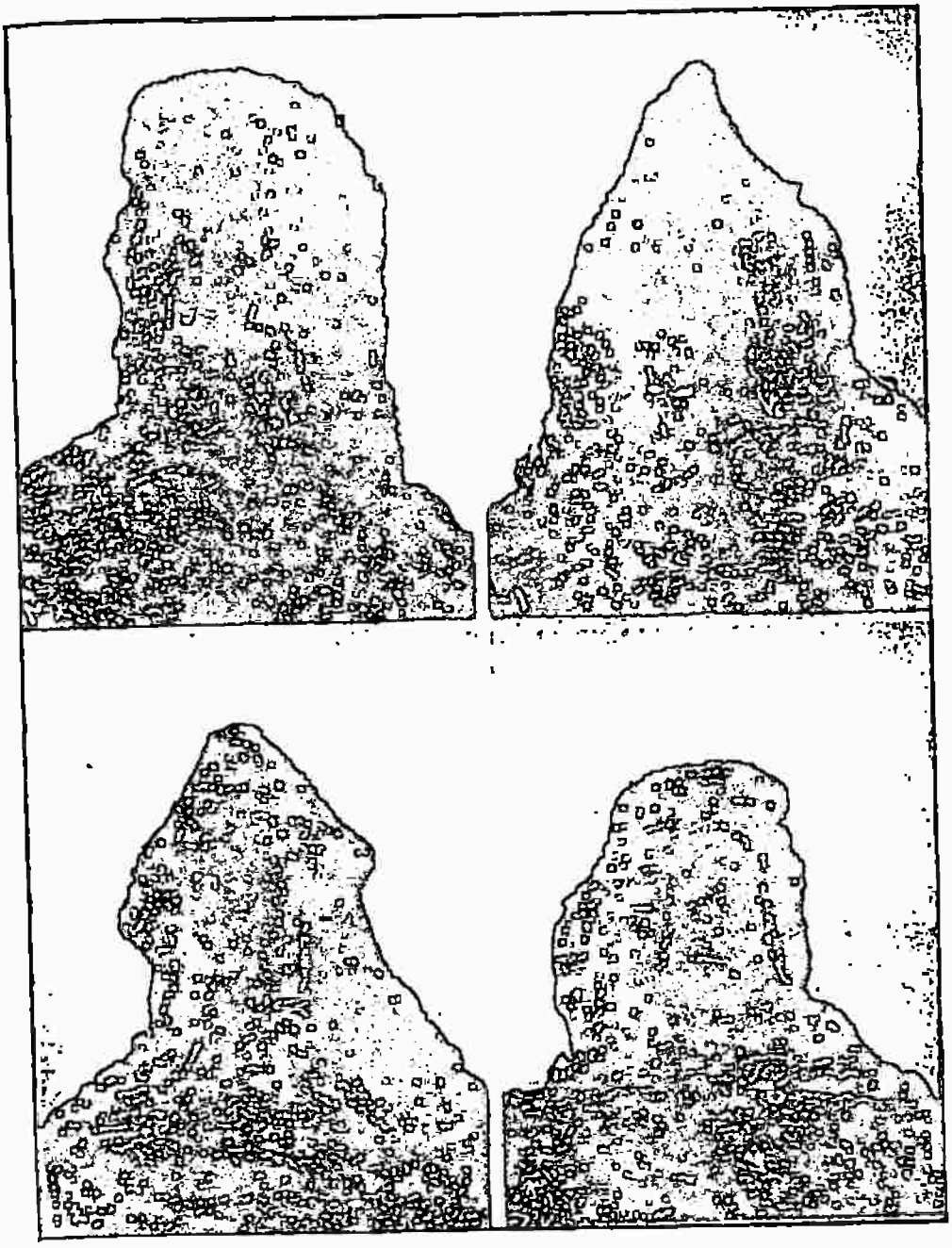

عرقوف في منتصف القرن الماضي

١ الجهة الشرقية ٢ الجهة الشمالية ٣ الجهة الغربية ٤ الجهة الجنوبية

مراصد الاطلاع: عقرقوف وهو «عقر» أضيف الى «قوف» فصار مركّبًا قال: «وهي قرية من نواحي دُجيل وليس كذلك. بل من نواحي نهر عيسى (الصقلاويّة) بينها وبين بغداد اربعة فراسخ الى جانبها تلٌّ عظيمٌ عالٍ يُرى من خمسة فراسخ واكثر. وفي وسطه بناء باللَّبِن والقصب كأنهُ قد كان أعلى ممّا هو فاستهدم بالمطر فصار ما تهدَّم منهُ حولهُ تلًّا عاليًا». اه بحروفه. وقال صاحب فتوح البلدان: «وقال بعضهم حين لقوا خُزّاد:

وآلَ مَنَا الفارسيُّ المُذَرَه حين لقيناهُ دُونَ المنظرَه (١)
بكُلِّ قبّاء لحوقٍ مضمَرَه بثلها يُجزم جمعُ الكفَرَه

يُعني بالمنظرة تلّ عقرقوف» اه

وبيدي شواهد اخرى على ذكر عقرقوف غير انهـا كلها لا تزيدنا علمًا بخصوص وصف التلّ. ولهذا احببنا ان نورد هنا ما جاء من وصفهِ كتب الافرنج وما هي آراؤهم فيهِ. هذا وقد أصبحت هذه المؤلفات في يومنـا هذا اعزَّ من الغراب الاعصم. فنقول: اول من ذكر عقرقوف سيزار فيديريكو (César Fédérigo) سنة ١٥٦٣ ثم ذكرها رَوْولف (Rauwolff) وغيرهما من المسافرين باسم «برج نمرود» ولم يصفهُ وصفًا شافيًا الّا نيبُهر (Niebuhr) السائح المشهور قال: Aguerkuf عقرقوف (كذا كتبها بالافرنجيّة واردفها بالكتابة العربيّـة) هو على بعد فرسخين ونصف فرسخ من غربي بغداد وهو برج يُشبه كل الشبه برج الحلّـة الذي تكلّمت عنهُ (ص ٢٣٦) لكنّهُ ليس مبنيًا بالآجرّ بل باللَّبِن وبعد كل ستة آسُف او ثمانية طبقةٌ من الأسَـل تخنها قيراطان. وفي هذا البناء او في هذا التلّ المسوَّر خُروق صغيرة كانت تمتدّ امتدادًا افقيًا على كلّ الحائط «على ما يظهر لي». اما الآن فقد سُدَّ أغلبها. وسمك البناء يبلغ ٧٠ قدمًا. والجهة الشماليّة تكاد تكون عموديّة. وكان لها ما يُشبه ان يكون بابًا ولكنّهُ عالٍ جدًّا لا يُبلغ اليهِ بدون مرقاة. اما الجوانب الاخرى فقد احرقت الشمس مادّتها وزعزعت قواها وذرّت الرياح شيئًا كثيرًا منها. ويُرى ان الأسل قد مسك البناء عن التداعي في مواطن شتّى ولهذا فانّك تراهُ قد برز عنهُ في تلك المواضع وهو دليل على انهُ أبقى من اللَّبِن. وقد ظنّت جماعة من السيّاح انهُ برج بابل القديم. وليس من الحقيقة بشيء لان

(١) قُلتُ: المُذَرة بضم الاول وفتح الثاني الكثير الحذر وهو من المستدركات على اصحاب المعاجم. وفي نسخة الحَذُرة وهو غلط. المنظرة هناك المكان العالي يعد الريئة بصرهُ منهُ لاستطلاع طلائع العدوّ القادم. مثلهُ المِرْبأ والمَرْبأة والمُرَبّأ والمَرْقبة

برج بابل كان بجوار الفُرات وعقرقوف لا يبعد كثيرًا عن دجلة. هذا ويصعب اليوم تعيين الغاية التي أُقيم لها هذا البناء. فلعلَّهُ كان مُصطاف احد خلفاء بغداد الاوّلين او احد ملوك الفرس الذين كانوا يقيمون في المدائن وذلك لاستنشاق الهواء البارد في اعلاهُ. وفي جوار عقرقوف تلول أُخرى كثيرة يُرى فيها آثار بيوت اي قطع من الطاباق ممَّا يدلّ على انها بقايا منازل قد أُقيمت في البساتين او بقايا مدينة صغيرة كانت هناك او موضع بغداد القديم». اه تعريبًا

وعلى رأي الكولونل جِسني ان أخربة أكَّد وهي المدينة الثالثة من مُدُن نمرود لا تبعد كثيرًا عن عقرقوف وكانت هذه لتلك بمنزلة قلعة او حصن حصين لها. وقد ذكر جِسني التفاصيل الآتية وهي تتفق كل الاتفاق مع التفاصيل التي اوردها نيابُير قال: «انّ لطاباق عقرقوف ١١ قيراطًا ورُبعًا مربَّعًا في اربعة قراريط ثخنًا وقد نُضِّدت تنضيدًا منتظمًا وهي مرصوصة بصلصال ردي. او قُلْ بطين (ولا تقل بياع) ومن مميّزات هذا البناء إدخال أطنان من القصب من الجهة الواحدة الى الجهة الاخرى وذلك على فُسَح متقاربة من اسفل البرج الى اعلاهُ. والمألوف فيه ان تكون كل طبقة من القصب بعد سبعة مداميك او آسُف من اللَّبن (اي ما يساوي فسحة قياسها قدمان و ١١ قيراطًا) وهذا القصب مركَّب من ثلاثة أنضاد موضوعة وضعًا يجعلها تتقاطع تقاطعًا متعاكس الوجهة. والاعلى منها يوازي النضد الاسفل وقد تتقاطع من النضد الاوسط تقاطعًا تُحدثُ بينهما زاوية قائمة. ولا مراء في ان هذه البنية كانت في الاصل هرمًا (كذا) اما اليوم فلا شكل لها من الاشكال المنتظمة وعند اسفلها بَنيثةٌ كثيرة تمتدّ الى بعد ١٥٧ قدمًا شمالًا وجنوبًا. وعلوّ البرج ١٢٨ قدمًا. وعلى الجانب الشرقي ونحو منتصف البناء فَتحةٌ يبين انها كانت مدخل مدفن. وفي مواطن شتَّى من هذا الصرح وبالاخص في قمته ثقوب مربَّعة شبيهة بالثقوب التي تُرى في الابنية العربية لتماسك الاخشاب» (١)

امَّا إيف فانهُ ذكر طول هذا الصرح ١٢٦ قدمًا و٣٠٠ قدم عند حضيضه حاسبًا بذلك النبيثة. وكر پورتر (Ker-Porter) وأنسورث (Ainsworth) ذكرا ان سمكهُ ١٢٥ قدمًا

(١) راجع Chesney : *Expedit. to the Euphrat.* 1850. Vol. II, p. 606

ويظنّ إيف الذي زار هذا البناء في نحو زمان نيابُهر (١٣ حزيران ١٧٥٨) انهُ برجٌ اقامهُ الكلدان الاقدمون لرصد الكواكب. ويذهب الى ان هذا البرج كان في بادئ الامر مربّعاً. والاديب دوادج (Doidge) هو اوّل من رسم رسمهُ. ثم ان إيفاً لا يذكر شيئاً من التفاصيل عن هذه الاخربة بل يقول ان قُطّان تلك النواحي يعتبرونهُ صرح نمرود او صرح بابل

اما بوشان (١ فلم يرَهُ سنة ١٧٨٤ الّا رؤية من يمرُّ به مرًّا. وقد سمع انهُ يُسمّى كُركُوف (Gargouf). وزار هذه الأنقاض اوليفيه بعد بضع سنين وكتب ما معرّبهُ:

« على اربعة فراسخ من غربي بغداد بناء قديم يعرفهُ النصارى باسم برج نمرود او برج بابل (كذا) ويسمّيهِ العرب عَيرْكُوف (هكذا مكتوبة A-Yargouf) وهو أطمٌ مبنيٌ بالطاباق وقد كُشط صَفحان منهُ لتُعرَف الغاية التي أُقيم لها او ان يُبحث فيهِ عما أُودِعهُ من الكنوز على ما يتخيّلهُ الاعراب في الابنية القديمة . . . والمادّة الطينيّة المبني منها هذا الأطم ليس آجرًا بل لَبِناً وسطح اللبنة منهُ المربّع يبلغ ١٣ قيراطاً وثخنها يبلغ قيراطين ونصف قيراط وقد صُفّت على صفحاتها شيئاً فوق شيء. وزُمّلت بالطين الذي لُبِن منهُ اللَّبِن وتبلغ مداميكها ثمانية او عشرة وهي عبارة عن طبقة ثخنها قدمان او قدمان ونصف قدم. وقد وُضع تحت هذا اللَّبِن اربعة او خمسة قراريط من خثالة الجصّ ثم طبقة ثخنها من قيراطين الى ثلاثة مُتّخذة من نَضد القصب المتقاطع ثم تبتدئ مداميك اللبن فوق نضد القصب وخُثالة الجصّ موضوعة دائماً فوق اللَّبِن. وكل ذلك يتتابع على هذه الوتيرة الى قمّة البرج. ومما استوقف ابصارنا واسترعى افكارنا ان أدماص اللَّبِن ليست متساوية فمنها ما يكاد يكون ثخنهُ قدمين ومنها ما يقارب ثلاث اقدام وقد خُرقت خروقاً مربّعة على مسافات متقاربة بعضها من بعض تُشبه ان تكون خُروقاً للأساقيل او السلالم ولعلّها ايضاً خُرقت لتسهيل تجفيف ذلك الصرح المُمرَّد اذ يُرى رؤية جليّة ان تلك الخروق تتوغّل في الداخل وان نَضد القصب البارز اليوم عن اللَّبِن يُرى عن بُعدٍ وهو محفوظ احسن الحفظ وقد صبر على كوارث الزمان اكثر مما لو كان من الخشب البالغ النهاية من الصلابة والصلادة الّا انهُ قد تصوّح في المواطن المعرّض للهوّاء واذا تمكّن الرجل من استخراج شيء منهُ كما فعلنا هذا الفعل في حيطان

١) راجع Beauchamps., Journal des Savants, Mai 1785, p. 859

قُطَيْفُون يتحقق انهما من نبتٍ واحد يكثر على ضفاف الرافدَين وفي مستنقعات البلادَين وهو نوع من جنس الثيل والعرب يدعونهُ في كتبهم السِّبْل (وباللاتينيَّة uniola bipennata Linn,) وهو يختلف بعض الاختلاف عن القَيْقَة (وباللاتينيَّة poa cynosuroides, de Retzius)

ومما يدفع الانسان الى ان يظنّ ان هذا الأطم لم يكن في سابق الزمن ارفع مما هو عليهِ الآن انهُ ينتهي بفراش ثخين من الطين يُظنّ انهُ كان بمنزلة سطح لهُ. وربَّما كان هذا السطح نتيجة فعل الارياح والامطار عليهِ فهشَّمت رأسهُ وألقتهُ على الارض فتساوى معها بما ان صفحاتهِ التي لم تلمسها ايدي البشر وصلت اليها أنياب الدهر فاكلت بعضها. ولولا وجود القصباء فيها لاسترطها كلّ الاسترطاط لكن حالت دون متسنَّاهُ فكانت لهُ بمنزلة الشجا او الغصَّة » (ستأتي البقيَّة)

الاسلحة النارية في الشرق

للاديب يوسف افندي غنام ثابت

انسنا في القرَّاء ارتياحاً الى مطالعة ما كتبناهُ في المشرق (٣: ٥٧٧ و ٧٠٠) عن السيوف الشرقيَّة وجوهرها فجاء استحسانهم منشطاً لنا على مواصلة البحث عن صناعة بلادنا القديمة علَّنا نُحيي بذلك مآثر اجدادنا وتمشي بين مواطنينا روح الصناعة بعد خمودهِ. وقد رأينا اليوم ان نبسط الكلام في الاسلحة الناريَّة نخصُّ منها بالذكر البنادق القديمة الشرقيَّة وما امتازت بهِ في الاعصار السابقة من الخواص الفريدة والمحاسن البديعة. وقد استندنا في ما رويناهُ الى ما افادنا اخونا سليمان المتضلع بصناعة الاسلحة وفنونها القديمة والحديثة

ليس من غرضنا ان نخوض هنا في مسألة تاريخ البندقيَّات واصل وضعها فانَّ دون ذلك عقبات صعبة المرتقى. وغاية ما يمكن قولهُ انَّ البندقيَّة من لواحق البارود فلمَّا كان اكتشاف البارود قد سبق اليهِ الهنود والصينيون والعجم قبل الاوربيين بزمن مديد فلا غرو انهم وضعوا ايضاً البندقيَّات او ما يشبهها لقذف الموادّ المنفجرة. وعلى هذا المنوال يصحُّ القول بانَّ البندقيَّة سلاحٌ شرقي الاصل